أ.د/ آسيا جريوي

مداخلة :

سيميائية الصورة الفتوغرافية للشريط البصري –قراءة للفيلم الوثائقي أعماق الجزائر-

تقديم :

تهتم السيميائيات بالبحث عن المعنى في المجال اللغوي وغير اللغوي ، والمرئي واللامرئي في حقل معرفي لامتناهي من الدوال التي تتحول الى مدلولات ، و الصورة من عناصر اهتمام سيمياء التواصل التي تتمركز على قوة التأثير على المتلقي من خلال الرسالة الصوتية والبصرية . ((ولسيماء التواصل محوران : هما : التواصل والعلامة ، وكل من هذين المحورين يتفرع إلى أقسام ويمكن أن يقسم التواصل السيميائي إلى : إبلاغ لساني ، وإبلاغ غير لساني فإبلاغ "التواصل" اللساني يتم عبر الاستخدام اللغوي ، فعند "سوسير" لابد من متكلم وسامع علاوة على تبادل الكلام عبر الصورة الصوتية والصورة السمعية ، بينما لدى "ويفر وشينون" يتم عبر إرسال الرسالة من قبل المتكلم إلى المستقبل ، وهذه الرسالة يتم تشفيرها وترسل عبر القناة ، ويشترط الوضوح وسهولة المقصدية –قصد أداء الرسالة- وبعد وصول الرسالة يقوم المرسل إليه "المتلقي" بتفكيك شفرات الرسالة وتأويلها . أما التواصل غير اللساني فيعتمد على أنظمة سننية غير أنساق اللغة ، وهي في رأي "بويسنس " تصنف حسب معايير ثلاثة :

1/ معيار الاشارية النسقية : حيث تكون العلامات ثابتةودائمة كعلامات المرور.

2/معيار الاشارية غير النسقية، عندما تكون العلامات غير ثابتة وغير دائمة على عكس المعيار الأول نحو الملصقات الاشهارية ، والدعائية .

3/معيار الاشارية عندما تكون العلاقة جوهرية بين معنى المؤشر وشكله ، كالملصقات التي توضع فوق وجهات المتاجر بغية ترويج البضائع ، وضمن هذا المعيار الأخير ، يوجد معيار آخر: الاشارية ذات العلاقة الاعتباطية ، كالصليب الأخضر الذي يشير إلى الصيدية .وضمن هذا الاطار ندرج الصورة الاعلامية ، أو الصورة التلفزيونية والسينمائية التي تمزج ببن الصورة والصوت والحركة .واللغة)) (1) في تشكيلة فنية رائعة .

ومن ذلك الأفلام السينمائية والمسلسلات والأشرطة والاشهار والحصص التلفزيونية ...وغيرها .

وقد اخترنا في هذه الدراسة الفيلم الوثائقي (من أعماق الجزائر) وهو شريط يصور المناطق السياحية في الجزائر من مختلف الزوايا تم البث من قناة (الشرق الوثائقية) . ومنه نطرح التساؤلات الآتية :

-ماهو تشكيل الفني للمشاهد التصويرية ؟

-ماهي أبعاد الصورة الفتوغرافية في الشريط الوثائقي؟

أولا:سيميوطيقا الصورة:

((إن السيميائيات كما تنبأ بها "دوسوسير" ، وشعبها "تشارلز سندرس بورس" قد اشتغلت على مجالات عدة ليصعب حصرها إلا أنها لم تعمق البحث فبعضها كما هو الحال مع الصورة ، وهذا راجع إما لقصور الاجراءات التحليلية لدى الباحث وإما لعدم اكتمال جهازه المفاهيمي والمصطلحي لمثل هذه المقاربات ، وهذا ماحذا ببعض الباحثين في الشـأن السيميائي من أن يوسعو البحث في مجال البصريات ، قصد الاجابة على أسئلتها المهمة : كيف نتواصل بصريا ؟ ، وكيف نقرأ رسالة بصريا ؟ وكيف نكوّن ثقافة بصريا؟، وكل هذه الأسئلة ، و؟اسئلة أخرى تصدى لها "رولان بارت" بالاجابة في بحثه عن عناصر السيميولوجيا التي طبق بعضا منها على الصورة باستعادته للطروحات والمقولات اللسانية لدوسوسير"(اللسان /الكلام، الدال/المدلول، الاعتباطية...)وما جاء به "بورس" في مفهومه للأيقونة بتفريعاته اللامتناهية ليبحث على بلاغة للصورة وكيف يأتي المعنى إليها)) (2)

وفي التفكير السيميائي ((فإن الصورة تنطوي تحت نوع أعم يطلق عليه ، وهو يشمل العلامات التي تكون فيها العلامة بين الدال هنا (Icone) قائمة المشابهة والتماثل ، أو بمعنى أوسع كل تقليد تحاكيه الرؤية في بعدين (رسم، صورة) أو في ثلاث أبعاد (نقش ، فن ، التماثل)) (3)

ثانيا :مفهوم الصورة :

((إذا كانت الصورة كما عرفتها القرون السابقة تشتغل وفقا لمبدأ التناظر والمرجعية من غير أن تفقد التباسها ، فإن الصورة في الوقت الحالي ؛أي في زمن الشاشة والعولمة والصور الرقمية قد بدأت تشتغل وفق مبدأ جديد هو مبدأ اللذة ، لا يعني هذا أن الصورة قد غيرت من طبيعتها والتباسها وتلبيسها ، ولكن الأمر يتعلق فقط بإذكاء لوقتها وفتنتها ، فالصورة التلفزيونية مثلا تعتمد على منطق خلق الأحداث وإعادة تركيبها وتوليفها تبعا لمنطق اليومي والعرضي)) (4) و((يمكن تعريف الصورة في علم البصريات بأنها تشابه أو

تطابق للجسم ، تنتج بالانعكاس أو الانكسار للأشعة الضوئية وتتكون أيضا بواسطة الثقوب الضيقة ، وبهذا فإن الصورة الحقيقية هي نتاج تلاقي الأشعة على الحاجز)) (5)

وتعد الصورة الصحفية الفنية ((البيضاء أو السوداء أو الملونة ، ذات المضمون الحالي المهم الواضح والجذاب ، المعبرة وحدها أو مع غيرها في صدق وأمانة وموضوعية ، وأغلب الأحوال عن الأحداث أو الأشخاص أو الأنشطة أو الأفكار أو القضايا أو النصوص والوثائق ، أو المناسبات المختلفة المتصلة غالبا بمادة تحريرية معينة ، تنشرها أو تكون صالحة للنشر على صفحات جريدة ، أو مجلة أو توزعها وكالات الأنباء أو صور على سبيل التأكيد والتوضيح والتفسير والدعم والإضافة ولفت الأنظار وزيادة التوزيع وكمعلم وكركيزة خارجية ...والتي تلتقطها عدسة مصورها بطريقة تعكس حسا فنيا اتصاليا وفهما لوظيفتها .بعد إعداد خاص أو تحصل عليها بمعرفة المحرر أو الوكالات أو من مصور محترف .... وبالتالي فالصورة الصحفية من أهم الوسائل الايضاح والتبيان ، بل أنها تعتبر كذلك من أكبر أدوات الإثارة والتوجيه والإرشاد)) (6)

ثالثا-تشكيل الصورة الفتوغرافية البصرية :

تتشكل الصورة البصرية المتحركة من الموسيقى والحركة واللغة والصورة الناطقة التي تجسد الحدث والمشهد من خلال اللقطة السينمائية ،((إن القاعدة الأساسية التي يتبعها السيميولوجي في تركيب الصورة تبدأ من شكلها إلى تنظيمها الداخلي والتنظيم الجمالي واستخدام الألوان وعمق الصورة)) (7) والأضواء والموسيقى والتركيب اللغوي ،من ذلك الصورة الآتية من الفيلم الوثائقي (من أعماق الجزائر) :

صورة 1 لمدينة تمقاد في باتنة

نلحظ التركيب اللغوي (أعماق الجزائر) قد أخذت الجزء العلوي من الصورة باللون الأبيض بشكل بارز وقوي من جهة اليمين يتفرعها عنوان بحجم أقل (تواريخ في تاريخ) ، وفي مقابل التركيب اللغوي نلحظ الأثار التاريخية للحضارات القديمة صورة تيمقاد المدينة الأثرية الرومانية التي تعد أقدم مدينة رومانية في افريقيا ، وفي الزاوية اليسرى في الأسفل اسم القناة (الشرق الوثائقية)، وفي سيميولوجيا الصورة البصرية للفيلم الوثائقي نجد العناصر الآتية :

3-1-الإطار : وهو فضاء الصورة البصرية للفيلم الوثائقي (من أعماق الجزائر) والذي جاء في شكل مستطيل أفقي المناسب للبث التصويري المباشر للصحراء الجزائرية وقد استغرق البث مدة ساعة زمنية .

3-2- التنظيم الداخلي : يشتمل التنظيم الداخلي للفيلم الوثائقي المحور العمودي يقسم الصورة إلى قسمين : القسم الأيسر يمثل الحاضر أو الماضي ، والجزء الأيمن يمثل المستقبل القريب ، وهي زوايا النظر للفيلم (قطر الاقتراب وقطر الابتعاد)، والمحور الأفقي الذي يفرق بين الأرض والسماء كما يفرق بين المنطقة المادية والمعنوية (8) . ففي الصورة الاقتراب جهة اليمين والابتعاد جهة اليسار ، ونقطة النور تتمركز في الأعلى جهة اليمين مع مساحة (التركيب اللغوي أعماق الجزائر).

3-3- التنظيم الجمالي : فالصورة يمكن أن تنقسم إلى أربع أسطر متموضعة في ثلث الصورة والتقاطعات لهذه الأسطر هي نقاط القوة التي يستعملها السيميولوجي لوضع الرموز المفتاحية للصورة ، ومن الشريط الوثائقي الصورة الآتية :

صورة 2 : العاصمة حديثا والعلم الجزائري

إن التشكيل البصري لجمالية هذه الصورة ينقسم إلى أربع أقسام جهة اليمين تتمثل في : من الأسفل إلى الأعلى صورة لمدينة العاصمة رمز للحضارة ، و كلمة الجزائر بحجم

كبير وباللون الأصفر علامة للغيرة تعلوها كلمة (أعماق) باللون الأبيض علامة للسلام والنقاء مع شريط باللون أخظر علامة للازدهار وثروات البلاد)وجاءت لفظة أعماق على صورة ظل الجبل فاللون الأسود علامة للغموض والدهاليس فهناك مناطق في الجزائر لم تكتشف بعد وهي مجهولة وغامضة ، ونلحظ في الصورة قسمين جهة اليسار قسم لصورة العلم علامة السيادة والحرية والاستقلال يرفرف ويغطي صورة الجبل الشامخ مؤشر للقوة والصمود علامة لكفاح الشعب الجزائري وصموده ضد المحتل الفرنسي وفي أسفل الصورة زاوية اليسار نلحظ علامة القناة (الشرق الوثائقية) .

إن الصورة تتشكل من مسار بصري من العلامات السيميائية ، والعلامةالسيميائية المؤثرة في المتلقي (العلم الجزائري) والمؤشر اللغوي (الجزائر).

رابعا : لقطة البداية والنهاية للفيلم الوثائقي (أعماق الجزائر):

1- لقطة البداية والمشهد الاستهلالي:

نلحظ مشهد جنيريك البداية يجسد التداخل بين الصورة المتحركة البصرية والتركيب اللغوي بين النص والصورة

-النص اللغوي : يقول المقدم للفيلم الوثائقي ((أهلا بكم في الجزائر التي تقع في الشواطئ الجنوية للبحر الأبيض المتوسط ،إنها أكبر دولة من حيث المساحة في القارة الافريقية ، وأرض ذات تاريخ غني وحضارات قديمة ومناظر خلابة ، هنا في إمكانك رؤية الجبال الوعرة والبحيرات والغابات والوديان وبساتين الزيتون وأشجار النخيل وفي الجنوب تتباهى الجزائر بأكبر صحراء في العالم)) .**(من الشريط الوثائقي أعماق الجزائر)**

يرفق هذا التقديم بسلسلة من الصور الجميلة لمناظر خلابة ولمناطق مختلفة من أرض الجزائر (صورة لغابات النخيل ،و صورة لتمقاد وصور للشواطىء الساحلية، وصور للجبال والوديان والتضاريس ، وصور لبساتين الزيتون والفواكه ، وصور للصحراء الجزائرية ...)

صور 3و4و5و6 لمناطق جزائرية

2-لقطة النهاية والمشهد الأخير:

وفي نهاية الفيلم الوثائقي نشهاد رحلة نحو منطقة في اعماق الصحراء الجزائرية تعرف ب(أسكرام) منطقة نهاية العالم وهي رحلة وعرة إلى مكان يشبه سطح القمر (هضبة الهقار) تعبر على (أتاكور) وهو واد بركاني : **(صورة 7و8)**

الحياة قاسية في تمنغاست الصحراء حارقة ، ونجد في ختام الشريد اشارة إلى الأب شارل دوفوكو الذي كان يقدم المساعدة إلى التوارق وكان يريد نشر المسيحية وكان يؤرخ للتوارق أثناء الاحتلال الفرنسي وأثناء مرضه قدم له التوارق المساعدة ففهم أشياء كثيرة عن الحياة والمجتمع التارقي الجزائري وحد حياته معهم في ظل التآلف والتسامح والتعايش وتوفي بعد أن قام بجمع قاموس حول لغة التوارق . الصورة التالية صومعة المسيحي شارل دوفوكو في أسكرام: **(الصورة 9و10)**

خامسا : أبعاد الصورة البصرية في الفيلم الوثائقي (أعماق الجزائر) :

في دراسة التصوير البصري للفيلم الوثائقي نلحظ مجموعة من الصور والمشاهد من اللقطات الفيلمية التي تميزت بالجمالية والتأثير على المشاهد ولقد جمع الشريط جملة من الصور لمناطق سياحية مختلفة في الجزائر بحيث تحكي كل منطقة تاريخ عريق ، ومن ذلك الصور الآتية :

صورة 11 وصورة12

صور لشروفات غوفى فى مدينة باتنة بيوت الأمازيغ

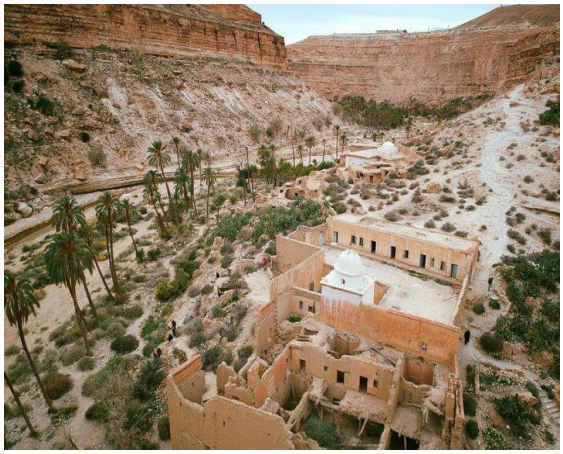

شروفات غوفي تحفة فنية معمارية في جوف الصخور تستقطب السياح في باتنة ، وصور مختلف لمناطق سياحية مدينة غرداية واليزي .**(صورة رقم14/13)**

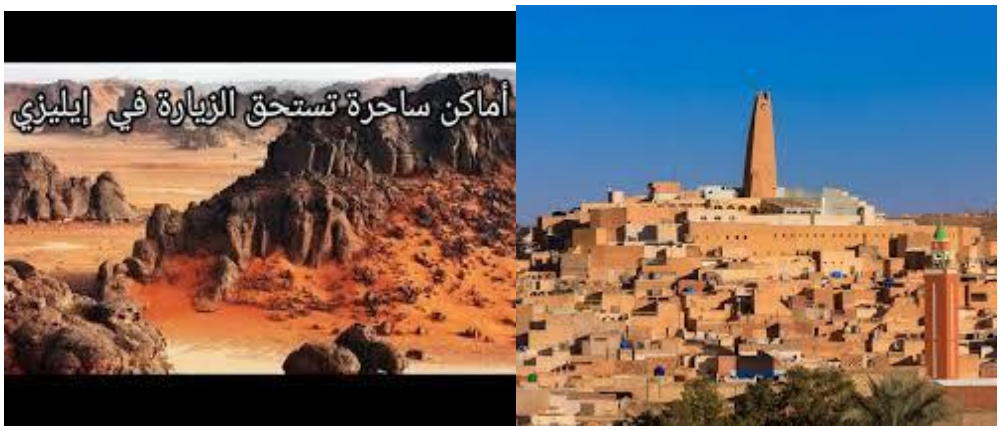

إن المجال السيميائي للشريط البصري يقوم على سلسلة من الصور المتتابعة في مسار تصويري ، تشكل وحدات سيميائية دالة على نقاط تاريخية مختلفة من الأرض الجزائرية تتوالى لتشكل الوحدة الصورية (الجزائر).

وفي استخلاص الأبعاد من الفيلم الوثائقي نجد:

1/ **البعدالسياحي والثقافي** : من خلال الصور نجد تعريف بالجزائر وجمالها الخلاب فالمناطق السياحية غنية بالثروات والتحف الفنية والحضارات التاريخية لجذب السياح على سبيل المثال في بني المزاب نجد:.

-قصر (إيغزر):أعظم بناء للأمازيغ (قبيلة الزناتة) من قصور تيميمون

-(كابيتر): مركز للترويج للثقافة تمت نشأته من طرف وزارة الثقافة، حيث يقوم بتعليم الطلاب السياح من مختلف مناطق العالم.

إن العلامة السيميائية لصورة (قصر إيغزر) ، و(كابيتر) تشكل دال نحو المدلول الثقافي للسياحة الصحراوية في الجزائر.

2/البعد التاريخي: الغوص في عمق الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي وبعد الاستقلال والنهضة الجزائرية على مختلف الأصعدة .وكذا لاشارة إلى تاريخ الأمازيغ والاشارة إلى حضارة بني المزاب التي تعود إلى القرن8 والتي برزت منها 5مدن منها :(غرداية ، بني يزقن،بن نورة ، مليكة ، العطف)وهذه المدن عبارة عن قلاع تتميز بهندسة مصونة تجمعها مخططات معمارية مشتركة وتنقسم إلى : (منطقة القصر ، المنطقة التجارية ، منطقة بساتين النخيل) .

إن المسار البصري لصور هذه المناطق يشكل علامة سيميائية نحو المدلول الحضاري والتاريخي في التراث الجزائري.

3/**البعد الاقتصادي:** الجزائر غنية بالثروات حيث يتجلى الجانب الاقتصادي في الآبار البترولية وفي الثروات الحيوانية والزراعية وتصوير الحقول والبساتين لمختلف الفواكه وغابات النخيل والاشارة إلى الأسواق التجارية منها سوق غرداية للسجاد. واقتصاد منطقة مزاب يعتمد على التمور

في الجانب الاقتصادي تقيم غرداية مهرجان سنوي للسجاد الذي يقام في كل عام أبريل ، ونلحظ أن أشكال وزخارف السجاد عبارة عن علامات سيميائية تعبر عن تراث المنطقة وتراثها ، ومن علامات السجاد: -مشط الصوف /مفتاح التواصل ، اللون الأسود يمثل مزاب ،واللون الأحمر يمثل الحب / الثعبان ، العقرب، الطيور الصغيرة في السجاد هي مؤشرات للثقافة والتراث المزاب .

4/ **البعد الديني** : الاسلام هو قوة المجتمع الجزائري والتعريف في الشريط الوثائقي إلى الدين الاسسلامي للأمة الجزائرية من خلال تصوير المساحد في صحراء الجزائر ، الدين الاسلامي هو القوة الحاكمة في بني ميزاب وهنا تعيش الإباضية التي تتميز بالصرامة ، والعمل أمر مقدس عندهم .

-شكل المسجد في غرداية : ذو نتوءات أربعة بمعى الأركان الأربعة في الاسلام والمسجد الركن الخامس .

-صرح أمي ابراهيم : وهو صرح مخصص للصلاة وخلفه توجد المأذنة وبجانب الجدار قبر الحكيم .

-مسجد سيدي ابراهيم : تم بناء المسجد في القرن 12 وهوأحد التراث العالمي في يونسكو وهو مصدر الهام المهندسين المعاصرين .

يشكل المسار البصري من تتابع صورة (مسجد غرادية ، وصرح أمي ابراهيم، ومسجد سيدي ابراهيم)لتشكل سيماء الصورة الدالة على المؤشر الديني الاسلامي في الصحراء الجزائرية العميقة.

5/**البعد الاجتماعي** : إشارة إلى التراث المادي والمعنوي وإلى العادات والتقاليد للمجتمع التارقي خاصة منطقة بني مزاب في الصحراء الجزائرية.

فالمسار البصري للصور(لباس بني مزاب، عاداتهم ، صورة لطهي خبز تحت الجمر في التراب، الشاي ، النخيل ، الجمل ، الخيمة ، الشمس، الرمال الذهبية) يتشكل المجال التصويري لهذه الصور نحو السيم (الصحراء) التي تحمل صورة دالة على المؤشر التراثي الاجتماعي لعمق الجنوب الجزائري.

ومنه تعد صورة الصحراء الجزائرية موطن التوارق تتمتع بعادات وتقاليد فالصحراء عبارة عن محيط من الرمال و الصخور ، يكتشف المشاهد لهذا الشريط الوثائقي صور ممتعة لمختلف المناطق السياحية في الجزائر البلد الافريقي الشاسع بمساحته وتشعبه لمختلف القبائل والتركيز على التوارق وتاريخ الأمازيغ هو زاوية من زوايا اكتشاف للحضارات العريقة القديمة التي عرفتها الجزائر .ولعل التصوير البصري الممتع بتقنيات الجدوة العالية ساعد في إبراز قوة الجمال الخلاب لمختلف المناطق في عمق الجزائر الصحراء الذهبية زوايا لعالم لم يكتشف بعد.

المراجع :

1-جاب الله أحمد ، الصورة في سيميولوجيا التواصل ، محاضرات الملتقى الرابع السيمياء والنص الأدبي ، جامعة بسكرة ، 29/28نوفمبر 2006،ص194، 195.

(2)- عبد الحق بلعابد ، سيميائيات الصورة (بين آليات القراءة وفتوحات التأويل

https://maamri-ilm2010.yoo7.com

3-ساعد ساعد ، عبيدة صبطي ، الصورة الصحفية دراسة سيميولوجية ،دار الهدى عين ميلة ، الجزائر ، ص 44

4- فريد الزاهي ، الصورة وتحليل الخطاب البصري في العالم العربي من اللغة إلى المرئي ، مجلة الخطاب (أعمال الملتقى الدولي حول واقع البحوث المعرفية وتحليل الخطاب) أيام 13/12/11 مارس 2013 جامعة ميلود معمري ، تيزي وزو ، العدد14، ص 222.

5- ساعد ساعد ، عبيدة صبطي ، الصورة الصحفية دراسة سيميولوجية ، ص43.

6- المرجع نفسه ، ص44،43.

7-المرجع نفسه، ص46.

8-المرجع نفسه ،ص ن.